المحاضرة السابعة

فَاحفَظُوا كَلِمَاتِ هَذَا العَهْدِ وَاعْمَلُوا بِهَا لِتَفلَحُوا فِي كُلِّ مَا تَفعَلُونَ. «أَنْتُمْ وَاقِفُونَ اليَوْمَ جَمِيعُكُمْ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكُمْ رُؤَسَاؤُكُمْ أَسْبَاطُكُمْ شُيُوخُكُمْ وَعُرَفَاؤُكُمْ وَكُلُّ رِجَالِ إِسْرَائِيلَ وَأَطْفَالُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ وَغَرِيبُكُمُ الذِي فِي وَسَطِ مَحَلَّتِكُمْ مِمَّنْ يَحْتَطِبُ حَطَبَكُمْ إِلَى مَنْ يَسْتَقِي مَاءَكُمْ لِتَدْخُلَ فِي عَهْدِ الرَّبِّ إِلهِكَ وَقَسَمِهِ الذِي يَقْطَعُهُ الرَّبُّ إِلهُكَ مَعَكَ اليَوْمَ لِيُقِيمَكَ اليَوْمَ لِنَفْسِهِ شَعْباً وَهُوَ يَكُونُ لَكَ إِلهاً كَمَا قَالَ لَكَ وَكَمَا حَلَفَ لآبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ. (تث٢٩: ٩-١٣ .(

سفر التثنية يسمى تثنية الاشتراعي وهذا يعني أن موسى يكتب للجيل الثاني الذي لم تخض حادثة الخروج، ويذكره بعهد الله معهم، لذلك يسمى تثنية من مثى أي يعيد مرة أخرى تذكير الشعب بالعهد. يتكلم الرب في بعض الأحيان للشعب بصيغة مفردة، لإسرائيل ككيان واحد وأمة واحدة .

أبدًا لم يكن خلاص الرب في العهد القديم بأعمال الناموس، فكثيرًا اليوم ما نقرأ أن العهد الجديد، عهد الخلاص بالنعمة، بينما العهد القديم الخلاص بالناموس. وهذا الفكر -كما ذكرنا في المحاضرة السابقة- غير صحيح حيث أن الخلاص في العهد القديم كان على أساس نعمة الله ورحمته لشعبه الذين أختارهم بمحض أرادته .

أما العنصر الشرطي المتوقف على الطاعة وحفظ العهد فهو مرتبط بإسرائيل كأمة ووعد الرب في حالة التزامها بحفظ العهد بأن تكون مملكة كهنة للرب وتكون خاصة من بين جميع الشعوب. ولكن إسرائيل في وقت من الأوقات رفضت ونقضت العهد، فأين إسرائيل الآن؟ هل توجد مملكة تسمى مملكة إسرائيل؟ هل عندما نقض الشعب عهده مع

الرب ولم يطع وصايا العهد، ولم يسمع لصوته هل معنى هذا أن الله أوقف تعامله مع إسرائيل ونقض عهده معهم نهائيا ؟

هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ الْجَاعِلُ الشَّمْسَ لِلإِضَاءَةِ نَهَاراً وَفَرَائِضَ الْقَمَرِ وَالنُّجُومِ لِلإِضَاءَةِ لَيْلاً الزَّاجِرُ الْبَحْرَ حِينَ تَعِجُّ أَمْوَاجُهُ رَبُّ الْجُنُودِ اسْمُهُ: [إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْفَرَائِضُ تَزُولُ مِنْ أَمَامِي يَقُولُ الرَّبُّ فَإِنَّ نَسْلَ إِسْرَائِيلَ أَيْضاً يَكُفُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ أُمَّةً أَمَامِي كُلَّ الأَيَّامِ. هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: إِنْ كَانَتِ السَّمَاوَاتُ تُقَاسُ مِنْ فَوْقُ وَتُفْحَصُ أَسَاسَاتُ الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ فَإِنِّي أَنَا أَيْضاً أَرْفُضُ كُلَّ نَسْلِ إِسْرَائِيلَ مِنْ أَجْلِ كُلِّ مَا عَمِلُوا يَقُولُ الرَّبُّ]. (أر٣١: ٣٥-٣٧ .(

الله يقول إنه لن يرفض أبدًا كل – ويجب الانتباه لكلمة كل – نسل إسرائيل، بل عند عصيانهم سوف يبقى أمينًا لهم. (لاحقًا في محاضرة العهد الجديد سوف يكون هناك شرح وافي لهذا الجزء .(

)رو١١ :(

فَإِنِّي لَسْتُ أُرِيدُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَجْهَلُوا هَذَا السِّرَّ لِئَلاَّ تَكُونُوا عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ حُكَمَاءَ. أَنَّ الْقَسَاوَةَ قَدْ حَصَلَتْ جُزْئِيّاً لإِسْرَائِيلَ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ مِلْءُ الأُمَمِ وَهَكَذَا سَيَخْلُصُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «سَيَخْرُجُ مِنْ صِهْيَوْنَ الْمُنْقِذُ وَيَرُدُّ الْفُجُورَ عَنْ يَعْقُوبَ. وَهَذَا هُوَ الْعَهْدُ مِنْ قِبَلِي لَهُمْ مَتَى نَزَعْتُ خَطَايَاهُمْ». (رو١١: ٢٥-٢٧ .(

يكلم بولس الأخوة الذين من أصل أممي عن السر – وهو شيئ لم يكن واضح في الكتابات السابقة أي العهد القديم – لئلا يصيروا حكماء عند أنفسهم. يقول بولس: لا أريدكم أن تجهلوا هذا السر أن القساوة قد حصلت جزئيا لإسرائيل، وهذا يعني أنه ليس كل الشعب رُفض، ليس كل الشعب تقسى. فالمسيح نفسه يهودي، والتلاميذ في الجيل الأول في

المسيحية يهود، والكنيسة الأولى في أورشليم كانت يهود، وبولس يضرب المثل بنفسه، فهو نفسه يهودي ولم يتقسى ولم يرفض المسيح، لكنه آمن به.

لقد كانت القساوة جزئية – ليست للكل – وأيضاً هذه القساوة وقتية، وقتية تعني لفترة محددة، هذه الفترة إلى أن يدخل ملء الأمم، حتى حدوث انتشار للإنجيل والتبشير به في كل العالم، وقبل نهاية الأيام الله سوف يعود ويتعامل مع إسرائيل ثانية كشعب. سوف تخلصون كمؤمنين مثل المؤمنين الذين تخلصون الآن من كل الأمم، لكن من الواضح أن ذلك سيكون بأعداد كبيرة وبأسلوب واضح جدًا وممي، فلم تحدث من قبل توبة جماعية مثل التوبة التي ستحدث في الأيام الأخيرة. وهذا سوف ينم – كما هو موضح في عدد ٢٧ – عندما تنزع خطاياهم، أي عندما يتوبون.

الله قبلًا أرسل شعبه للسبي – كما هو موضح في سفر أرميا – كانت مدة السبي المحددة سبعون عامًا. ووعدهم الرب بردهم في نهاية المدة إن رجعوا عن طرقهم الردية. ودانيال وهو يقرأ السفر في (دا٩)، اكتشف أن نهاية السبعين عام قد اقتربت، ومن المفترض أن هذا أمر يفرح الشعب لأن السبي سوف ينتهي والرب سيعيد شعبه، لكن دانيال كان ينوح ويبكي، وصام وبكى ثلاث أسابيع لأن الشعب لم يتب ومازال في خطيئته. ولأن التأديب لم يأتي بنتيجة لذلك تضاعفت فترة التأديب لـ ٤ مرات، أي السبعين ستضاعف لـ ٤٩٠ سنة، وهذا ما حدث بالفعل عندما كلم الملاك دانيال وقال له سبعين أسبوع سنين، وهذا يعني سبعين في سبعة ستكون فترة ٤٩٠ سنة.

فالعودة من السبي كانت عودة جزئية لعدد محدود من الشعب ولم تكن هناك توبة عظيمة، والله سمح بالعودة لكي يكمل معهم ولكي تتحقق وعوده التي تتطلب أن يكون هناك شعب يأتي المسيح من نسله، ويتطلب أن يكون هناك هيكل وحياة روحية مستمرة.

الشعب عندما عاد من السبي كانت عودته جزئية، لم يكن هناك ملك من نسل داود، ولم يكن هناك هيكل بالشكل الذي كان عليه قبلاً، ولم يكن هناك ملك عظيم مثل الملك الذي كان موجود أيام داود وسليمان، والفترة امتدت حتى ٤٩٠ سنة وهذه الفترة سوف تنتهي بمجيء المسيح.

وبمجيء المسيح أستطاع أن يقول: «رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ وَأُكْرِزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ» . (لو٤: ١٨-١٩) . وكلمة المأسورين (المسبيين) تجب أن نمر علينا دون فحص وتحليل، فيقول المسيح أنا آت لأبدأ عملية رد للمسبيين. فقد عاد جزء من المسبيين والجزء الأخر سوف يرد كما هو موضح في (رو١١ .(

وإن كنا نتساءل أين الهيكل والملك الداودي بعد السبي ؟، فالمسيح يوضح ويقول عن نفسه أنه هو الهيكل. فقد تحدث عن هيكل جسده، وكان من المفترض أنه هو الملك الذي سيرد أغلب المسبيين، وعندما رفضه أغلب الشعب حدث لإسرائيل تأديب مضاعف، مضاعف أكثر من الـ ٤٩٠ سنة. حتى الآن إسرائيل في حالة قساوة جزئية ومؤقتة، لكن في نهاية الأيام سنحدث توبة لشعب إسرائيل والله سيعود ويتعامل معهم ويؤمنون به مرة أخرى.

وحتى الآن وفي كل عصر يوجد أناس من نسل اليهود يعودون، والدليل الكنيسة في أورشليم وكهاتهم وتلاميذهم، حتى الآن يوجد ناس في إسرائيل تؤمن بالمسيح وتضطهد من اليهود أنفسهم.

ونجد في (رو١١) تشبيه أدى إلى النتيجة التي قالها لنا إن القساوة حدثت جزئيا حتى يأتي ملء الأمم، وهذا التشبيه هو شجرة الزيتون التي هي إسرائيل، ويقول إنه يوجد أمر آخر يسمى

الزيتونة البرية التي هي الأمم، ويقول بولس الرسول أنه توجد أغصان في الزيتونة التي هي إسرائيل، هذه الأغصان تعبر عن غير المؤمنين، فهي أغصان تقست فنزعت وسقطت وانتهت، والزيتونة البرية أغصانها التي هي الأمم أطعمت بدلا منها واتنمت للزيتونة وهذه الأمم هم نحن. فنحن كنا من الأمم من خارج نسل إبراهيم وأطعمنا في الزيتونة التي هي إسرائيل، فإسرائيل اتسعت وشملت الأمم، وبذلك يكون الرب قد نفذ وعده لإبراهيم الذي هو في نسلك تتبارك جميع الأمم، فإسرائيل لم تنتهي لكنها اتسعت وحضنت وشملت الأمم.

فإسرائيل موجودة وهي الزيتونة ونحن إسرائيل الحقيقية، لكن إسرائيل العرقية موجودة، والأغصان التي لم تقطع الذين هم المؤمنين الموجودين في كل عص .

وفي النهاية عندما يدخل ملء الأمم سيعود الرب يتعامل مع إسرائيل بشكل كبير، وتعود الزيتونة وتنشر فروعها وتخلص كل إسرائيل وتخلص أعداد كبيرة جدًا من شعب إسرائيل ونصل في النهاية للسماء الجديدة والأرض الجديدة كما رآها يوحنا في سفر الرؤيا ١٤٤ ألف. وهذا الرقم يعني ١٢ ألف من كل سبط، أى سيكون هناك أعداد كبيرة من اليهود، لكن أيضاً توجد أعداد أكبر من الأمم، حيث يقول عدد لا يحصى من كل أمة وقبيلة وشعب ولسان.

ففكرة أننا حللنا محل إسرائيل (نظرية الاحلال أو الاستبدال) فكرة غير صحيحة، وبولس لا يوافق عليها، إلا أننا نجد البعض اليوم يؤمنون بها . فالرب لم ينهي إسرائيل لكن الرب يكمل مع إسرائيل ونحن أطعمنا في الزيتونة الأصلية. لذلك فهذه النظرية تسمى "نظرية النبني"، فنحن ننتمي لإسرائيل بالنبني .

)غل٣ :(

أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِحَسَبِ الإِنْسَانِ أَقُولُ «لَيْسَ أَحَدٌ يُبْطِلُ عَهْداً قَدْ تَمَكَّنَ وَلَوْ مِنْ إِنْسَانٍ، أَوْ يَزِيدُ عَلَيْهِ». وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي «إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ». لاَ يَقُولُ «وَفِي الأَنْسَالِ» كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ. وَ«فِي نَسْلِكَ» الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ. وَإِنَّمَا أَقُولُ هَذَا: إِنَّ النَّامُوسَ الَّذِي صَارَ بَعْدَ أَرْبَعمِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً، لاَ يَنْسَخُ عَهْداً قَدْ سَبَقَ فَتَمَكَّنَ مِنَ اللهِ نَحْوَ الْمَسِيحِ حَتَّى يُبْطِلَ الْمَوْعِدَ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَتِ الْوِرَاثَةُ مِنَ النَّامُوسِ فَلَمْ تَكُنْ أَيْضاً مِنْ مَوْعِدٍ. وَلَكِنَّ اللهَ وَهَبَهَا لإِبْرَاهِيمَ بِمَوْعِدٍ. (غل٣: ١٥–١٨ .(

المشكلة الأساسية التي يواجها بولس هنا هم المتهودون، والمتهودين هم أشخاص آمنوا أن الشخص لكي يصبح مسيحيًا لابد أولًا أن تحفظ وتمارس كل تعاليم وشرائع اليهودية .

فبولس يقول إن العهد الموسوي لا يلغي ولا يبطل ولا تحل محل ولا يتعارض مع العهد الإبراهيمي، وبالتالي الناموس أيضاً لا يلغي الموعد. ويستطرد في شرح هذا الجزء ويقول عن العهود حتى التي بين البشر لو تثبتت لا يستطيع أحد أن يلغيها، فالعهد الإبراهيمي موجود ولا يستطيع أحد أن يلغيه أو يبطله.

وأما المواعيد –العهد الإبراهيمي –هذه ليست عهود قيلت بين البشر وبعض، لكنها عهود قيلت في إبراهيم وفي نسله الذي هو المسيح، فهذا الوعد بين الله وإبراهيم في شخص يسوع المسيح.

ويوجه بولس كلامه للمتهودين فيقول: إن كنتم تقولون إن وراثة بركات العهد الإبراهيمي التي هي الخلاص تأتي عن طريق الناموس فأنتم تعكسون الأمر وتقولون إن ميراث الموعد يأتي عن طريق الناموس. فلو كان كلامكم صحيحًا، فلن تكن أيضاً من

الموعد. لكننا نحن نعلم وراثة المواعيد الذي هو الخلاص تأتي عن طريق الموعد وليس عن طريق الناموس.

إذا لماذا الناموس؟ قد ذكرنا سلفاً فائدة الناموس، ونرى هنا أن الناموس هو تحقيق لوعد الله بطريقة مبدئية مع إبراهيم. وهو تحضير للتحقيق النهائي في المسيح في العهد الجديد.

فَلِمَاذَا النَّامُوسُ؟ قَدْ زِيدَ بِسَبَبِ النَّعَدِيَاتِ، إِلَى أَنْ يَأْتِيَ النَّسْلُ الَّذِي قَدْ وُعِدَ لَهُ، مُرَتَّباً بِمَلاَئِكَةٍ فِي يَدِ وَسِيطٍ (غل٣: ١٩). فالناموس زيد بسبب الأخطاء والمعاصي، ودوره في أظهار طبيعة الخطية. فالناموس في ذاته ليس خطية، بل يكشف لي طبيعتها لأَنَّ بِالنَّامُوسِ مَعْرِفَةَ الْخَطِيَّةِ (رو٣: ٢٠).

لكن الناموس هنا لم تحل المشكلة لكنه زاد عليها بشكل ما عندما أظهر الخطية. فنجد أن المشكلة كبرت وتفاقمت، لأن كلما أعطى الناموس وصية ليست فقط المشكلة تظهر لكن الإنسان يكون معانداً أكثر ومرافض أكثر للوصية. لذلك يقول بولس، إِلَى أَنْ يَأْتِيَ النَّسْلُ الَّذِي قَدْ وُعِدَ لَهُ، هذا النسل هو المسيح، فالناموس هدفه أن يقود للمسيح، والناموس ليس ضد الموعد لكن الناموس تحرك الإنسان كي ينال الموعد في نسله الذي هو المسيح.

وَلَكِنْ قَبْلَمَا جَاءَ الإِيمَانُ كُنَّا مَحْرُوسِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، مُغْلَقاً عَلَيْنَا إِلَى الإِيمَانِ الْعَتِيدِ أَنْ يُعْلَنَ. إِذاً قَدْ كَانَ النَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا إِلَى الْمَسِيحِ، لِكَيْ نُتَبَرَّرَ بِالإِيمَانِ (غل٣: ٢٣-٢٤). وكلمة مؤدبنا هنا هي الكلمة التي تستخدم عن المُربي الذي يستأجره أحد النبلاء كي يربي له ابنه حتى سن البلوغ، فكأن الناموس يؤدبنا ويقودنا للمسيح. ويقول بولس أننا كنا محروسين – مسجونين – تحت الناموس، والناموس كان بمثابة السجان الذي يطالب بوصية ما، ومن لا

يستطيع يقع تحت طائلة الناموس. فقد كان الناموس يضعنا في السجن إلى أن يجيء المسيح لكي نتبرر لا بأعمال الناموس بل بالإيمان .

فلو نظرنا للناموس فسنجد ناموس يسمى الناموس الطقسي الذي هو الشرائع والوصايا الطقسية، وكل ما يتعلق بنظام الذبائح والعبادة الطقسية في العهد القديم، وناموس يسمى الناموس المدني هو كل ما يتعلق بالشرائع والأحكام مثل من قتل يقتل وكل التنظيمات المدنية لشعب ودولة إسرائيل، والقانون الأخلاقي الذي هو الشرائع الأخلاقية .

والمسيح هو متمم لكل أنواع الناموس، بمعنى أن كلها تشير إليه أنه هو رئيس الكهنة وأنه هو الذبيحة العظمى وأنه هو الهيكل الأكمل في العهد الجدي ، فهو متمم الناموس الطقسي ، ونحن بإيماننا بالمسيح كأننا أتممنا كل الناموس، أي بموت المسيح عنا أتمم كل ما يطلبه الناموس. الناموس المدني مرتبط بإسرائيل كدولة والآن لا توجد دولة إسرائيل، والناموس الأخلاقي المسيح شرحه في الموعظة على الجبل، فالمسيح تمم كل الناموس بالكامل.

)عب١١ :(

فِي الإِيمَانِ مَاتَ هؤُلاَءِ أَجْمَعُونَ، وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا الْمَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا وَصَدَّقُوهَا وَحَيُّوهَا ، وَأَقَرُّوا بِأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلاَءُ عَلَى الأَرْضِ (عب١١: ١٣(

من الهام أن نتعلم من هذا الأصحاح أن مؤمني العهد القديم لم يتبرروا بالناموس لكنهم كانوا منتظرين المسيح، وكانوا مدركين بعمل الروح القدس أنه سوف يأتي أمر أعظم هو من فيه خلاصهم.

لم يكن مؤمني العهد القديم في حالة من الضرر – العمى – لا يفهمون ما الذي يرمز له الناموس، أو ما فائدة الذبائح أو لمن كانت ترمز المواعيد، بل كانوا متطلعين لأمر ما وبكل

تأكيد أن هذا لم يكن بالوضوح الذي نحن فيه الآن، لكن بولس يقول عن المسيح في العهد الجديد أنه أنار لنا الحياة والخلود، بمعنى أن كل هذه الأمور كانت عليها مثل سحابة سوداء، لكنهم لم يكونوا غير مبصرين، بل كانوا يرون أمراً ما .

فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَنْبِيَاءَ وَأَبْرَاراً كَثِيرِينَ اشْتَهَوْا أَنْ يَرَوْا مَا أَنْتُمْ تَرَوْنَ وَلَمْ يَرَوْا وَأَنْ يَسْمَعُوا مَا أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَمْ يَسْمَعُوا (مت١٣: ١٧)، فأنبياء وأبرار العهد القديم أشتهوا أن يروا المسيح .